

اسم المادة: فصل في الآداب الباطنة للحج □

من سلسلة: مختصر منهاج القاصدين□

لفضيلة الشيخ: محمد حسين يعقوب□

حياة

Way2allah.com

way2allahcom

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله



اسم المادة: فصل في الآداب الباطنة للحج
من سلسلة: مختصر منهاج القاصدين
لفضيلة الشيخ: محمد حسين يعقوب

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله أحمده –تعالى– وأستعينه وأستغفره وأعوذ بالله –تعالى– من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ" آل عمران:١٠٢، "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً" النساء:١، "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً" الأحزاب ٧٠:٧١.

أما بعد

فإن أصدق الحديث كلام الله –تعالى–، وإن خير الهدي هدي محمدٍ –صلى الله عليه وسلم–، وإن شر الأمور محدثاتها، وإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد:

فإخوتي في الله؛ أنا أحبكم في الله

هذا هو المجلس الثامن عشر من مجالس التزكية، فرع التزكية من مدرسة الربانية، وهو من كتاب مختصر منهاج القاصدين.

وكنا قد توقفنا في اللقاء الماضي عند فصل في الآداب الباطنة والإشارة إلى أسرار الحج، وكان كلام الشيخ "اعلم أنه لا وصول إلى الله –سبحانه وتعالى– إلا بالتجرد والانفراد لخدمته، وقد كان الرهبان ينفردون في الجبال طلبًا للأنس بالله، فجعل الحج رهبانية هذه الأمة".

شوف الكلمة العجيبة؛ كان الرهبان ينفردون في الجبال طلبًا للأنس بالله، كأنه يصعب إن لم أقل يستحيل استشعار الأنس بالله في وسط ضجيج البشر. ابن القيم يقول: دخان الخلطة أنفاس البشر دخان القلوب. فلطلب الأنس بالله كان يخرج هؤلاء إلى البراري للصحراء، خلوة لتحصيل الأنس بالله. والحقيقة أيها الإخوة أن الأنس بالله علامة من علامات سلوك الطريق إلى الله.



أنا أقول دائمًا إن في الطريق إلى الله منارات من لم يرها يبقى لم يسر هذا الطريق؛ من هذه المنارات أو الصور الكبيرة التي في الطريق إلى الله –عز وجل– الأنس بالله، يبقى اللي حس بالأنس واستمتع به يبقى مشي وسلك، اللي ماحسش بالأنس بالله يبقى لسه عمره ما خد خطوة واحدة في الطريق إلى الله –سبحانه وتعالى–.

يقول الشيخ إن في الحج يحصل الشعور بهذا، كان طبعًا في زمن الشيخ كان الحج على الجمال والحج في صحراء، يمشوا أيام طويلة أسابيع وشهور للوصول إلى بيت الله الحرام، فكان قطع المفاوز والسفر في البراري ده كان إحساس بالأنس بالله –سبحانه وتعالى–، أما في الوقت الحالي القضية اختلفت؛ طيارات وحتى الأتوبيسات والمراكب بقى فيها ضجيج البشر أيضًا، فبقي إن الإنسان ينفرد أثناء الحج ميبقاش معاه صحبة يعرفها، فيشغلونه عن الله –سبحانه وتعالى–.

يقول الشيخ: "فمن الآداب المذكورة أن يكون خاليًا في حجه من تجارة تشغل قلبه وتفرق همه، ليجتمع على طاعة الله"

يبقى كل شيء يشغل قلبه أو يفرق همه فعليه أن يتخلص منه، ليجتمع على طاعة الله، "وأن يكون أشعث أغبر رث الهيئة غير مستكثر من الزينة، وينبغي أن يتجنب ركوب المحمل إلا من عذر، كمن لا يستمسك على الزاملة. فإن النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– حج على راحلة وتحت رحل رث". الشيخ الألباني صحح هذا الحديث أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– "حجَّ النَّبيُّ –صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ– علَى رَحْلٍ رثٍّ وقَطيفةٍ تُساوي أربعةَ دراهمَ أو لا تُساوي، ثُمَّ قالَ اللَّهمَّ حَجَّةٌ لا رياءَ فيها ولا سُمعةَ". فالخوف من الرياء والسمعة.

يا جماعة الخطر كل الخطر أن يدخل الرياء على القلب، تخسر العمل. ده أنا اكتشفت كمان إنك مش بس بتخسر العمل ده إنت بيبقى عملك ده معصية، يعني واحد رايح يحج عشان تُغْفَر ذنوبه، يبقى الحج من ذنوبه. واحد بيطلب العلم عشان يسلك طريقًا إلى الجنة، فإذا به يسلك طريقًا إلى النار بالرياء.

عشان كده كتير من الشباب اللي بلاقيه مثلًا إيه مطول شعره، ولابس طاقية سودة ومش عارف إيه، أو لابس عمامة كبيرة كده، أو لابس الغترة اللي عمال كل شوية يعمل كده دية الحمرا ولا البيضا أنا مابقولش إن ده حرام ولا إن ده مش سنة، كل ده سنة وينبغي للإنسان إن يعمله، بس أنا باقول خلي بالك من نقطة مهمة أوي، نقطة خطيرة جدًا؛ إن الرسول –صلى الله عليه وسلم– نهى عن ثوب الشهرة. ليه؟ سببه يلفت النظر كل اللي يشوفه الناس يقولوا إيه شوف، فكذلك اللبس الباكستاني مثلا النهاردة أو اللبس اللي أنا قلت عليه الأمثلة دي الطاقية السوداء أو تطويل الشعر كده الحاجات دي بتلفت نظر الناس فيقول شوف فلان شوف فلان، هو بيبقى شكله متميز في وسط الناس فيلفت النظر، مين قلبه يستمسك من العجب وهو متميز عن غيره؟ أنا قلت لكذا واحد من اللي بيطولوا شعرهم بالله عليك تقدر تحلف إنك سايبه سنة، ولا منظرة، ولا هوى، نفس الشيء في كتير من الملابس، الكحل اللي بيحطه بعض الناس أكثرها منظرة، عشان كده العلماء يقولك إيه، إنه يستحب إن هو يحج على رحل رث تجنبًا للرياء، عشان مايقعش في الرياء، مش مفروض نساعد الشيطان على أنفسنا، نساعد أنفسنا على الرياء، إحنا عايزين نمشي جنب الحيطة كده لحد ما ندخل الجنة، صعب أوي إنك تتخذ أشياء تُصَعِّب عليك الإخلاص، تعذره حتى يستحيل إنك تخلص.

في حديث جابر –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أن الله –عز وجل– يباهي بالحج الملائكة فيقول: "انظُروا إلى عِبادي أَتَوْني شُعْثًا غُبْرًا ضاحِّينَ من كلِّ فَجٍّ عَميقٍ، أُشهِدُكم أنِّي قد غَفَرْتُ لهم"[1]. حديث صحيح أيضًا

[1] تخريج زاد المعاد



شعثًا غبرًا يبقى التعب والمشقة مقصودة في الحج، ترك الزينة الظاهرة مقصودة في الحج، ميبقاش واحد بقى حريص إن هو ما يتوسخش هدومه ما يتعبش لا لا، ده ربنا بيباهي بالوسخ ده. انظروا يا ملائكتي إلى عبادي أتوني شعثًا، شعثًا يعني شعرهم منكوش، إحنا مش في الحج بقى شعثًا إن يبقى شعرهم يبقى منكوش، غبرًا يعني متربين، شعثًا غبرًا أشهدكم يا ملائكتي أني قد غفرت لهم، ربنا بيباهي بهذا الشعث وذلك الغبار.

"وقد شرَّف الله –تعالى– بيته وعظمه ونصبه مقصدًا لعباده، وجعل ما حوله حرمًا له، تفخيمًا لأمره وتعظيمًا لشأنه، وجعل عرفة كالميدان على فنائه". ربنا –سبحانه وتعالى– عظم الكعبة ونصبه مقصدًا لعباده "وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً.." البقرة:١٢٥ وجعل ما حوله حرمًا؛ حرم حوالين الكعبة تفخيم وتعظيم وجعل عرفة كالميدان على فنائه.

"واعلم أن في كل واحد من أفعال الحج تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر، فمن ذلك أن يتذكر بتحصيل الزاد زاد الآخرة من الأعمال، وليحذر أن تكون أعماله فاسدة من الرياء والسمعة فلا تصحبه ولا تنفعه، كالطعام الرطب الذي يفسد في أول منازل السفر فيبقى صاحبه وقت الحاجة متحيرًا. فإذا فارق وطنه ودخل البادية وشهد تلك العقبات، فليتذكر بذلك خروجه من الدنيا بالموت إلى ميقات القيامة وما بينهما من الأهوال".

بهيم العجلي لما خرج إلى الحج بكى، قيل: ما يبكيك؟ قال: ذكرتني هذه السفرة بالرحلة إلى الآخرة.

اللي هو رايح يحج لازم يبقى قلبه متيقظ منتبه يقظ صاحي مركز، كل شيء في الرحلة بقى يفكره بالآخرة، لما يجي يجهز الزاد؛ الشنطة والملابس والفلوس، مجهز زاده، يتذكر الكفن والقبر والموت هو جهز إيه عشان ياخده معاه إلى الآخرة، قاعد يغير الريالات، اللهم بدل سيئاتنا حسنات، قاعد يتحرى الحلال إيه اللي هينفع في الآخرة، لابد إن هو يبقى صاحي.

نمرة اتنين إن وهو بيفارق وطنه وأهله وأولاده، يتذكر فراقهم بالخروج الأخير من البيت إلى القبر، وإذا شهد العقبات بقى، دخل المطار وعدى من الجوازات ودخل من الأنبوبة عشان يقعد في الطيارة أو نفس الشيء برضه في الباخرة أو نفس الشيء في الأتوبيس، يتذكر العقبات والأهوال؛ الموت، خروج الروح، دخول القبر، الخروج من القبر، أهوال القيامة، عقبات قبل الوصول لدخول الجنة. اللهم ارزقنا الجنة وما يقرب إليها من قول وعمل.

"ومن ذلك أن يتذكر وقت إحرامه وتجرده من ثيابه إذا لبس المحرم الإحرام لبس كفنه، وأنه سيلقى ربه على زي مخالف لزي أهل الدنيا".

لازم الإنسان أما ييجي يلبس الإحرام يتذكر الكفن، فيُجرد من ثيابه ويلبس كفن، ما من ميت يموت إلا وهو يقول عند الموت رب ارجعون فيتذكر بقى في اللحظة دي وهو بيلبس الإحرام إنه مات ولبس الكفن، و"قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ" المؤمنون١٠٠:١٠١ فقيل له ارجع، فراجع بقى بيقول إيه؟ لبيك اللهم لبيك، راجع يقول لبيك، هو ده الإحساس المطلوب أن يتملكك ساعة الإحرام وساعة أول التلبية، لازم إنك تحس إنك خرجت من الدنيا، لبست كفنك، قلت رب ارجعون، قالك طب ارجع، فانت راجع بتقول جايلك لبيك، يعني جايلك لبيك أي مطيعًا لك، لبيك يعني مستقرًا على طاعتك، الإحساس ده هو اللي يخليك تقول لبيك صح من قلبك.

أما مع الغفلة والمنظرة والدبابيس والكباسين والحق راح وجه وعمل وسوى مصيبة، إحنا عايزينك تبقى صاحي وإنت بتلبس الإحرام وتتذكر وفاتك وكفنك وقولك رَبِّ ارْجِعُونِ.

"وإذا لبى فليستحضر بتلبيته إجابة الله –تعالى– إذ قال: "وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ" الحج:٢٧ فكأنك تسمع من عمق الزمن قول إبراهيم خليل الله –عليه السلام– يقول: "يا أيها الناس إن الله بنى لكم بيتًا فحجوا إن الله أمركم بالحج فحجوا". فانت جاي تقوله لبيك جايلك، استشعر هذا المعنى.



يا جماعة لبيك مش لعبة، مش لعبة ماهياش غنوة اللي ناس بتغنيها لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة، مش غنا هي لأ ده قلب، دي عبادة، ده ذكر، من قلبك.

وليرجُ القبول، وليخش عدم الإجابة، قيل لبعض السلف لبِ فبكى وأغمي عليه، فلما أفاق قيل: مالك؟ قال: أخشى أن أسمع غير الجواب. خايف أقوله لبيك يقول لي لا لبيك ولا سعديك،

اخش عدم القبول، وارجو الإجابة، وحسن ظنك بالله ولبِ كما ينبغي قال رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم–: "أفضلُ الحجِّ العَجُّ والثَّجُّ"[٢]، العج رفع الصوت بالتلبية، لذلك الصحابة كانت تبح أصواتهم من رفع الصوت بالتلبية، حديث جابر خرجنا مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في حجة الوداع نصرخ صراخًا: لبيك اللهم لبيك بأعلى صوت صراخًا نصرخ صراخ –مش غنى بقى مش مزيكة هي– نصرخ صراخًا.

"وليخش عدم الإجابة، وكذلك إذا وصل إلى الحرم ينبغي أن يرجو الأمن من العقوبة، وأن يخشى ألا يكون من أهل القرب، غير أنه ينبغي أن يكون الرجاء غالبًا لأن الكرم عميم وحق الزائر مرعي، وزمام المستجير لا يضيع". الله أكبر

اللهم ارزقنا الحج والعمرة، اللهم تابع لنا بين الحج والعمرة، اللهم لا تحرمنا من الحج والعمرة، اللهم إنا نسألك أن ترزقنا الإخلاص في الحج والعمرة، اللهم تقبل منا الحج والعمرة.

ينبغي للإنسان إذا وصل إلى الحرم أن يرجو الأمن "وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً" آل عمران:٩٧ الأمان من العقوبة، قبل ما تدخل الحرم الكعبة حضرت إيه؟ جهزت إيه للكعبة؟ لكي ترى بيت ربك –سبحان الله العظيم–، الناس اللي محبين بيبكوا على الأطلال ويتمسحوا بالجدر، ويشموا الروائح بحثًا عن الأحباب.

جهزت إيه لرؤية بيت الله؟ بيت الله، بيت الله، الكعبة يا قلبك يا أخي؛ حجت امرأة فكانت تسأل الرفقة أين بيت ربي؟ أين بيت ربي؟ فلما دخلوا مكة قالوا الآن ترين بيت ربك، فلما دخلوا الحرم قالوا هذا بيت ربك، فصارت تجري وتشتد، تجري وتشتد، وهي تقول بيت ربي بيت ربي بيت ربي ثم وضعت خدها على الكعبة فما رفعوها إلا ميتة.

ماذا أعددت لبيت ربك؟ قبل ما تدخل الكعبة جهز قلبك إنك هتشوف بيت ربنا، بيت من الحجر نسب إلى الله فصار مغناطيس أفئدة الرجال "وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً" البقرة:١٢٥ جعل الله الكعبة البيت الحرام قيامًا للناس قيامًا للناس، وهو داخل غلب الرجاء لأن الكرم عميم، كريم –سبحانه وتعالى– وانت رايح تزوره في بيته مش هيردك ومش هيضيعك.

"ومن ذلك إذا رأى البيت الحرام استحضر عظمته في قلبه وشكر الله –تعالى– على تبليغه رتبة الوافدين إليه".

نعم، باقول دايمًا لما تروح تحج أو تعتمر عليك باستشعار المنة، كتير من الناس الأكابر يقولك إن مش أي حد أدخله بيتي، الخواص بس همه اللي يدخلوا بيتي، طيب ربنا دخلك بيته مش نعمة؟ مين مننا يستاهل إنه يدخل بيته؟ لكنه كريم أذن وسامح وسمح لنا أن ندخل بيت.

تستشعر المنة واستحضر عظمة البيت الحرام في قلبك، واشكر نعمة الله أن بلغك رتبة الوافدين، واستشعر عظمة الطواف، استشعر عظمة الطواف فإنه صلاة.

الطواف يا جماعة مش لعبة برضه، يقولك هنلف سبع لفات تسه تسه ده اسمه طواف طواف سبعة أشواط، أنا عايزك تحس وانت بتطوف وتلف حوالين البيت، والبيت على يسارك وبتلف عكس اتجاه عقارب الساعة والبيت جهة قلبك، قلبك من ناحية الكعبة، كل شوط بترتفع شوية ترتفع، ترتفع، باتعجب يقولك نعمل إيه مع النساء في الطواف؟ إيه ده إنت دريان إن فيه نساء ولا رجالة في الطواف؟ ده انت عينك

---

[٢] أخرجه الترمذي وابن ماجه



متعلقة بالبيت، وقلبك مشغول برب البيت، وانت مش في الدنيا، الموضوع مختلف يا جماعة ده أنا قدام بيت ربي أقوله إيه؟ عشان تتعجب من اللي بيقرا من كتاب واللي بيقولوا ورا واحد، واللي بيزعق، واللي مشغول بيحافظ على مراته عشان محدش يتزنق فيها، يا عم إحنا في إيه ولا في إيه؟ ده انت مشغول تناجي ربك وتكلمه عند بيته تقوله إيه؟ وهمه سبع أشواط وهتقعد أو هتقلع إحرامك مش هيتعوضوا دول تاني، الطواف وانت محرم حاجة والطواف وانت بهدومك موضوع تاني مختلف، هتقوله إيه؟ تناجيه وتعتذر له وتحبه وتشكره وتدعوه.

تعظيم أمر الطواف

"وليستشعر عظمة الطواف، ويعتقد عن استلام الحجر أنه مبايع لله على طاعته، ويضم إلى ذلك عزيمته على الوفاء بالبيعة"

الإنسان وهو بيستلم الحجر قال –صلى الله عليه وسلم–: "يأتي هذا الحَجَرُ يومَ القيامةِ له عينانِ يُبصِرُ بهما، ولسانٌ ينطِقُ به، يشهَدُ لمن استَلَمَه بحَقٍّ"[٣]. حديث تاني الحجر يمين الله في الأرض يشهد لمن استلمه بحق كأنما بايع الله.

لما تحط إيدك على الحجر؛ الحجر ده من الجنة يبقى كأنك شفت الجنة، حاجة من الجنة، لما تلمسه كأنك لمست حاجة من الجنة، –سبحان الله– شيء عجيب، معانماينفعش نتكلم عنها بالراحة كده، عايز اسمحولي أحاول أتوسع شوية اللقاء القادم في الموضوع ده لأنه حلو، محتاجين نعمله بقلب وبروح.

بحبكم في الله أستودعكم الله والسلام عليكم ورحمة الله

[٣] أخرجه الترمذي وابن ماجه



أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله أحمده –تعالى– وأستعينه وأستغفره وأعوذ بالله –تعالى– من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ" آل عمران:١٠٢، "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً" النساء:١، "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً" الأحزاب ٧٠:٧١.

أما بعد

فإن أصدق الحديث كلام الله –تعالى–، وإن خير الهدي هدي محمدٍ –صلى الله عليه وسلم–، وإن شر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد:

فإخوتي في الله إني أحبكم في الله، وأسأل الله –جل جلاله– أن يجمعنا بهذا الحب في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، اللهم اجعل عملنا كله صالحًا واجعله لوجهك خالصًا ولا تجعل فيه لأحدٍ غيرك شيئًا.

من مدرسة الربانية أحييكم

وهذا فرع التزكية واللقاء التاسع عشر من كتاب مختصر منهاج القاصدين وفيه الكلام عن أسرار الحج، وكنا قد توقفنا في اللقاء الماضي عند قول الشيخ: "ومن ذلك أنه إذا رأى البيت الحرام استحضر عظمته في قلبه، وشكر الله –تعالى– على تبليغه رتبة الوافدين إليه، وليستشعر عظمة الطواف به فإنه صلاة، ويعتقد عند استلام الحجر أنه مبايع لله على طاعته، ويضم إلى ذلك عزيمته على الوفاء بالبيعة".

وقفنا عند هذا الحد، وأيها الأخوة أنا أعتبر وأعتقد أن وجود الكعبة بيننا من أعظم نعم الله علينا، نعمة عظيمة جدًا إلى أبعد حد وجود الكعبة "وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً" البقرة:١٢٥

استشعار هذا التعظيم؛ بيت الله. قال –سبحانه وتعالى– موحيًا إلى إبراهيم وإسماعيل "أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ" البقرة١٢٥، بيتي، سبحان الله العظيم، فالشاهد؛ تعظيم هذا البيت، واستشعار عظمة الطواف، وتعظيم أمر الحجر، شيء من الجنة يمين الله في الأرض. "وليتذكر بالتعلق بأستار الكعبة والالتصاق بالملتزم لجُأ المذنب إلى سيده، وقرب المحب". لجُأ المذنب إلى سيده.

حين يطوف الإنسان يأتي إلى بيت ربه، وكما قلت لك أن في معنى لبيك اللهم لبيك أي أتيتك أتيتك، جئتك جئتك، أتيتك، جيتلك يا رب جيت ليك، جيتلك بيتك، فقربه من البيت أو إتيان البيت؛ قضية الإتيان، إتيان مجرد إتيان البيت، عودة العبد الآبق مستسلمًا مختارًا إلى سيده، جيتلك يا سيدي، رجعتلك، أنا غلطان، أنا اللي كنت هربان، أنا اللي كنت تايه وضايع جيتلك، بحبك وعايزك ومليش غيرك، أروح لمين؟ أنت بابي ومقصدي.

هي دي؛ استشعار لما تيجي بيت ربنا عودة، اسمها يا بني توبة، عارف تاب يعني إيه؟ يعني عاد ورجع. رجع منين؟ كان في طريق الشيطان ورجع، فلما رجع؛ رجع فين؟ ورجع لمين؟ رجع لسيده، رجع لربنا.





لما يلتزم بقى أو يقف يلتصق بالملتزم، لما يلتصق ركبه وبطنه وصدره ووجهه لازقين تحت باب الكعبة، لازق ترفع راسك كده يدوب أطول واحد يبص من تحت عقب الباب، يااااه على الوقفة دي، على الوضع ده، استشعار قرب المحب وقوفه عند بيت حبيبه، قرب المحب وعودته وأنسه، حتى أنه يكون حريصًا على أن كل ذرة في جسمه تمس بيت سيده، تشعر بهذه القشعريرة في القرب من بيت سيده.

أنشد بعضهم في ذلك:

ستور بيتك نيل الأمن منك وقد ... علقتها مستجيرا أيها الباري

وما أظنك لما أن علقت بها ... خوفا من النار تنجيني من النار

وها أنا جار بيت أنت قلت لنا ... حجوا إليه وقد أوصيت بالجار

"ومن ذلك إذا سعى بين الصفا والمروة ينبغي أن يمثلها بكفتي الميزان، وتردده بينهما في عرصات القيامة، أو تردد العبد إلى باب دار الملك، إظهارًا لخلوص الخدمة، ورجاء الملاحظة بعين رحمته، وطمعًا في قضاء حاجته".

لما الإنسان يبدأ من الصفا ويروح للمروة، ويرجع الصفا تاني، ويروح المروة ويرجع ع الصفا، ويروح المروة ويرجع الصفا ويروح المروة، يتذكر كفتي الميزان يوم القيامة ما هي كتب، يوم القيامة أعمالك سجلات، كل سجل مد البصر، كتب دفاتر، والميزان كفتين ولسان، الرسول قال لنا كده. فيجي كتاب إيه ده؟ حسنات، حطه في ميزان الحسنات، تطب الحسنات ويجي كتاب تاني إيه ده؟ سيئات، حطه في ميزان السيئات تطب السيئات وبعدين التاني سيئات برضه، حط طب السيئات إيه تاني؟ حسنات، فهكذا الإنسان يبقى قاعد يبص للحسنات ويبص للسيئات، يبص حسنات ويبص للسيئات، –سبحان الله العظيم– وقلبه بيتأرجح كده بين الحسنات والسيئات، هي دي رايح وجاي تذكر ميزان الحسنات؛ كفة الحسنات وكفة السيئات، أو تذكر بذهابك إلى المروة وعودتك إلى الصفا، ترددك على باب الملك، ربنا بيحب كده إن الله يحب الملحين في الدعاء، إنك تجيله على طول علشان كده ربنا قال: "إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ" البقرة:٢٢٢ مش التائبين، توَّاب كثرة التوبة على طول يجي لربنا ويرجع، ويجي تاني ويرجع، ويجي تاني ويرجع، ويجي تاني ويرجع، فيتذكر المرواح والرجوع ده بكثرة تردده على الله.

"أما الوقوف بعرفة؛ فاذكر بما ترى فيه من ازدحام الخلق، وارتفاع أصواتهم، واختلاف لغاتهم، موقف القيامة واجتماع الأمم في ذلك الموطن واستشفاعهم، فإذا رميت الجمار فاقصد بذلك الانقياد للأمر".

في الوقوف بعرفة؛ اذكر ازدحام الخلق، حين ترى الخلق والناس والكثرة، –سبحان الله العظيم– في حج هذا العام وصلنا متأخرين، قدر الله –عز وجل– قبيل الظهر، الواحد مفروض يسكت عن ذكرياته دي أحسن –سبحان الله– كنا رايحين في أتوبيس مكيف، وناس مرتاحين وطالعين من الفندق ملمعين بقى، لا إحنا كنا راجعين من منى من يوم التروية يعني، الشاهد؛ فرأيت الناس الذين يمشون –سبحان الله العظيم– أمم اللي ماشيين رايحين لعرفة من منى لعرفة مشي على رجليهم، فقلت للناس اللي معايا قلت لهم –سبحان الله– هي دي الناس اللي بتحج، الناس اللي ماشية دي مش اللي قاعدين في أتوبيسات مكيفة، فتعطل الأتوبيس، ونزلنا مشينا إي والله حصل كده، ضل وتاه وبعدين وقف ومُنع من الرجوع انزلوا يلا نزلونا ومشينا، سبحان الله العظيم لما تمشي في هؤلاء الكم الرهيب عارفين إيه اللي خطر في بالي؟ سبحان الله العظيم قلت يعني مين بقى في وسط العالم دا كله إنت مين؟ مين محمد حسين يعني؟ مين؟ في وسط الأمة دي كلها اللي بتقول يا رب، أنت تطلع إيه؟ تساوي إيه؟ غاية من الحقارة، احتقار النفس بقى وازدرائها ووضعها في موضعها الصحيح، شايف الناس؛ تبص على يمينك ملايين فعلا ملايين، يعني همه بيقولوا تلاته مليون الوضع رهيب يذكرك بقى بيوم الحشر هتعمل إيه؟ هتروح فين؟

"يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ" القيامة:١٠ كَلَّا كلا مفيش هتروح فين؟ كله في اتجاه واحد "إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ" القيامة:١٢



"فإذا رميت الجمار فاقصد بذلك الانقياد للأمر، وإظهار الرق والعبودية، ومجرد الامتثال من غير حظ للنفس".
وأنت بترمي الجمار أنت مش فاهم العلة، إنك تجمع سبع جمرات وترمي، الله أكبر الله أكبر بترمي الجمار، بترميها حصى صغير تخبط بيه عمود مبني من الطوب. إيه السر وإيه العلة في كده؟ أنت مانتاش عارف، فمجرد امتثال الأمر، حاضر، الرسول قالك اعمل كده؟ تسمع الكلام ليه؟ معرفش، بس هو قال كده خلاص يبقى كده. مجرد الانقياد للأمر وإظهار الرق والعبودية ومجرد الامتثال من غير حظ للنفس.

"أما المدينة؛ اللهم ارزقنا وفاة ودفنًا في مدينة حبيبك محمد –صلى الله عليه وسلم–، فإذا لاحت لك فتذكر أنها البلدة التي اختارها الله لنبيه –صلى الله عليه وسلم–، وشرع إليها هجرته، وجعل فيها بيته، ثم مثِّل في نفسك مواضع أقدام رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– عند تردده فيها، تصور خشوعه وسكينته –صلى الله عليه وسلم–".
والله الواحد بيتذكر هذا الأمر أكثر وهو يطوف بالكعبة، فعلًا يخطر ببالي مواضع أقدام النبي –صلى الله عليه وسلم–. أتذكر قصة خباب بن الأرت يقول أتيت النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– وهو متوسد بردة ينام في ظل الكعبة، الرسول كان نايم هنا في الحتة دي، وخباب بن الأرت بيقوله الواحد يتذكر عن الحجر لما عبد الله بن مسعود قراهم سورة الرحمن وقوم يصفقون ويصفرون حوله وضع الكعبة، وأيضًا في المدينة نفس الشيء أيضًا في مدينة الرسول –صلى الله عليه وآله وسلم–.
يتصور الإنسان مكان النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– وذهابه ومجيئه ومحياته في هذا المكان –صلى الله عليه وآله وسلم–.

"فإذا قصدت زيارة القبر، وبالطبع لا تشد الرحال إلى قبر الرسول –صلى الله عليه وسلم–، لكن لوجودك في المدينة تزور قبر الرسول –صلى الله عليه وآله وسلم–، لأن الرحال تشد إلى مسجد الرسول لا إلى قبر الرسول، ومن مآسي العوام؛ اللي مفروض تصلحها أنت عند أبوك عند أمك عند جدك عند جدتك عند قرايبك اللي بيروحوا يحجوا، إن وهو رايح يحج أو رايح يعتمر يقولك إحنا رايحين للنبي –صلى الله عليه وآله وسلم–، لأ لازم أصلح له الحتة دي، أنت رايح تحج أو رايح العمرة مش رايح للنبي –صلى الله عليه وسلم–، أنت رايح لربنا –سبحانه وتعالى– بيت الله –جل جلاله–.

يقول الشيخ: "فإذا قصدت زيارة القبر، فأحضر قلبك لتعظيمه –صلى الله عليه وسلم–، والهيبة له، ومثل صورته الكريمة في خيالك، واستحضر عظيم مرتبته في قلبك، ثم سلم عليه" –صلى الله عليه وآله وسلم–
فعلا الواحد وهو واقف قدام القبر، والرسول هنا، نايم هنا، والقضية لما تروح القبر أيضًا من جهة الروضة، مش من الجهة اللي الناس كلها ماشية بتسلم منها وخارجين من الباب دي اللي فيها الأبواب المزينة الصفراء، لأ من الجهة التانية بقى من الروضة، ولما تشوف من الباب الأخضر ده، وتبقى شايف جوه التلات قبور؛ قبر الرسول –صلى الله عليه وسلم–، وجنبه أبو بكر، وجنبه عمر، فتتأمل كده الرسول هنا –صلى الله عليه وسلم–، في التراب –صلى الله عليه وآله وسلم–، مات –صلى الله عليه وسلم–، قلت مرة لأن الرسول كان عارف إنه هيموت ويدفن لأجل ذلك لم يتكبر على أحد، لأن دي آخرة البشر، أن يدفنوا في التراب. ظل يعيشها عبدًا، ليكون في الجنة في أعلى عليين –صلى الله عليه وآله وسلم–.



استحضر صورته الكريمة في خيالك -صلى الله عليه وسلم-، وتأمل وجودك بين يديه. لذلك العلماء قالوا: أنه لا يجوز رفع الصوت في مسجد الرسول، لأن حرمته ميتًا كحرمته حيًا. وقد قال الله "لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ * إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ" الحجرات٢:٣. فينبغي هناك أن تغض صوتك، وتقف بمنتهى التوقير، واستحضار أنك تقف بين يدي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فتسلم عليه، السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا حبيب الله، السلام عليك يا خليل الله، السلام عليك يا سيد ولد آدم، السلام عليك يا خير خلق الله، السلام عليك، أشهد أنك بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة، وكشف الله بك الغمة، وجاهدت في سبيل الله حق جهاده حتى آتاك اليقين. اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وآل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

اللهم آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، والدرجة العالية الرفيعة، وابعثه اللهم المقام المحمود الذي وعدته، إنك لا تخلف الميعاد.

ثم تنتقل وتسلم على أبي بكر ثم تنتقل خطوة وتسلم على عمر -رضي الله عنهما-.

بكده يبقى انتهى موضوع الحج، وزيارة مسجد الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وزيارة القبر. وننتقل إلى كتاب آداب القرآن في اللقاء القادم إن شاء الله

أحبكم في الله

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته